

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزردنَا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في قصة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْنَاهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤)

[سورة يوسف]

إنسان سجين، ومودع في غياب السجون يدعوه الملك إلى قصره ! هل في الأرض إنسان واحد يتربّد في الخروج من السجن ؟ قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْنَاهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤)

[سورة يوسف]

أول استبطان أن المؤمن عزيز، وأعلى شيء يملكونه كرامته وسمعته وسيد المسيح يقول في قول مشهور: ليس بالخبز يحيى الإنسان ! كل واحد منا يعيش بكرامته وسمعته ومكانته الاجتماعية، فلو خذلت هذه المكانة والسمعة لم يصبح للمال قيمة !

هذا الإنسان الراقي الذي يحمل مبادئ، والذي له قيم ورسالة، أما من دون رسالة ومبادئ وقيم فالمال كل شيء، يعني ألف جبان ولا رحمة الله !! كان العرب يقولون في الجاهلية: المنيّة ولا الدينية.

فهذا النبي الكريم علمنا أن الإنسان يعيش بكرامته وبسمعته ونظافته ونزاهته، فماذا ينبغي أن يقول هذا النبي لما استدعي ؟ انظروا للحكمة لو قال للملك: أنا بريء ! فكل سجين يدعى البراءة، لو قال له: القصة كيّت وكيّت، وطعن زوجته، فهو عليه السلام ما تحدث عن زوجته إطلاقاً، ولا عن براءته، إلا أن القى في قلب الملك سؤالاً كبيراً ؛ قال له:

﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالْ نِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ﴾ (٥٠)

[سورة يوسف]

ابتعد عن ذكر القصة التفصيلية، وعن براءته، وعن الطعن في زوجته، فلو ذكرها تفصيلاً أو أباح ما حصل لما أفلح، ماذا فعل هذا النبي الكريم ؟ أقوى تساولاً في نفس الملك، وهناك قصة ؟ هل تعرفها ؟ قصة النسوة اللاتي قطعن أيديهن ؟ هل تعرفها ؟ أنا لا أخرج حتى تعرفها، فجعل هذا النبي الكريم الملك يتحرى الحقائق بنفسه ! فدائماً إذا قدمت للناس حقيقةً من عندك دون

برهان يرفضونها، أما إذا كنت ذكياً وجعلت هذا الإنسان يكتشف لنفسه الحقيقة، فأروع شيء في الدعوة أن تجعل المدعو يكشف الحقائق ويضع يده عليها لوحده، وهذه الطريقة ذكية جداً في الدعوة إلى الله تعالى؛ تجعل المستمع شريك وتحترم ذكاءه وعقله وإمكانياته، فإذا وصل لوحده تمسك بها والقاعدة معروفة؛ من أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسلیم البلاد، فالذي يربى ثروة من كده وعرق جبينه حسابه دقيق في إتفاقها، أما الذي يأخذها إرثاً من والده فهذا يبديها لأنفه الأسباب، وهذا الموقف رحمني وتعليمي، فأنت أيها الإنسان تعيش بكرامتك ومبادئك أكثر مما تعيش بجذبك وكرامتك والطعام والشراب والمال.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبَّيْ بِكَيْدِهِنَّ عَلَيْمٌ﴾ (٥٠)

[سورة يوسف]

بالمناسبة ربنا عز وجل قال:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٤)

[سورة التحرير]

فكم هو كيد النساء؟ هؤلاء كلهم في مقابل النساء، وربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦)

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

[سورة يوسف]

والنساء حبائب الشيطان، فالخلوة والحديث والمُجاملة؛ هذا كلُّه يذهب بدين الإنسان لذا أنت كرجل لك نقطة ضعف واحدة: المرأة، فحينما يغضّ بصره عن النساء، ويرفض الاختلاط، ولا يخلو بأمرأة يحفظك الشرع وتكون في حصن الله، أما إذا خرقت هذا الحصن بأن اختلط وأطلقت البصر تخرج حينها من رحمة الله وحصته.

تجد إنسان له ثمانية أولاد وزوجة، وتراه يتكلّم مع امرأة ويخلو بها وهي دون زوجته؛ كل هذا من الاختلاط والحديث.

قال تعالى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَأَوْدُتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَهُ الْعَزِيزُ إِنَّهُ لَآنَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْدُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١)

[سورة يوسف]

فالملك لما سأله قالوا كما قال تعالى:

﴿قُلْنَ حَاسِّ لِّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾

[سورة يوسف]

البطولة لا أن تشهد لنفسك بالبراءة والزاهدة، البطولة أن يأتي المدح من خصمك، ومن الطرف الآخر فالعدو هو الذي شهد، وحينها قالت امرأة العزيز كما قال تعالى:

﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ إِنَّ حَصْنَ الْحَقِّ أَنَا رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمَنِ الصَّادِقِينَ (٥١)﴾

[سورة يوسف]

فإنه هو الحق، فإذا كنت مظلوماً فلا تخاف، فالله اسمه الحق، ومن لوازم اسمه أنه يظهر الحق، إلا أنه تعالى قد يسمح للباطل بجولة إلا أنه في النهاية لا يحق إلا الحق، ولا يصح إلا الصحيح، فهنيئاً لمن كان على الحق ولو اتهمه الناس.

لماذا اتهمنيه؟ وأودعته في السجن؟ قال تعالى:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَانِينَ (٥٢)﴾

[سورة يوسف]

ليعلم أي زوجي.

أيها الأخوة، هناك قانون وهو منذ خلق الله الأرض وإلى نهاية العالم قال تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَانِينَ (٥٢)﴾

[سورة يوسف]

فهذه الآية لا علاقة لها بهذا الموضوع فقد، بل هي قاعدة، الخيانة مفوضة، فقد تكفل الله أن يكشف كل خائن، وقد يكون الإنسان ذكياً إلا أن الله يكشف خياناته بأنقه أسلوب، وهذا بكل الشعوب والمناطق وعلى كل المعمور، لذا مهما احتلت وحذرت الأمور يكشف الله.

فلا تخن الله ورسوله، ولا شريكك، ولا المريض ولا الزبون، وهناك آلاف القصص تبرهن

افتضاح الخائن بستعنة لسان، فالذي يظن أنه يخون ولا يفتش فهو أحمق.

والحمد لله رب العالمين